تذكر ممشاك

إلى القبر

إعداد

القسم العلمي بدار ابن خزيمة

مصدر هذه المادة :



دار ابن خزيمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمـــــــده ونســـــــتعينه ونسـتغفره، ونعـوذ بالله من شـرور أنفسـنا ومن ســيئات أعمالنــا، من يهــده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، ,أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشـهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

أخي.. تـذكر ممشـاك إلى القـبر.. واذكر مبيتك فيه وحيدًا فريـدًا.. في حفـرة ضـيقة مظلمة.. مغلقة محكمة..

تذكر أول ليلة تبيتها.. وأول نزلة تنزلهـا.. وأول سـؤال تسـمعه من ربـك؟ ما دينـك؟ ماذا تقول في الرجل الذي بعث فيكم؟

تــذكر ﴿**وَذَكِّرْ فَـإِنَّ الـذِّكْرَى تَنْفَـعُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الذاريات: 55].

تذكر.. فإنه ما من شيء إلا ومنظر القبر أفظع منه.. يـراه الغافل حفـرة قد طمـرت بـالتراب.. بينما يجثم تحت وقارها وصـماتها جسد لا يدري، أهو في نعيم أم في عذاب؟

فالقبر إن كـان مقعـد رضـوان من اللـه، فهـو نعيم مقيم لصـاحبه مـد البصـر, وإن كان مقعد عذاب فهو جحيم ونار تلظى يحطك بعضها بعضًا.. نسأل الله النجـاة

والعافية.

يا ويح هذي الأرض ما تضع
أكل حي فوقها تصرع
تزرعهم حتى إذا ما استووا
عادت لهم تحصد ما تزرع

قـال محمد بن واسع وهو في المـوت: يا إخوتـاه, تـدرون أين يـذهب بي؟ يـذهب بي والله لا إله إلا هو إلى النار أو يعفو عني».

فماذا أعددت أخي.. لهذا اليوم؟

تذكر لحظات الاحتضار

ما من أحد إلا وهو موعـــــــود بلحظة احتضـــار عصـــيبة.. تتحشـــرج فيها النفس، وتخـــرج فيها الـــروح.. وتـــري كل أســـفله محتضر حقيقة أعمالـــه.. وما أســـلفه في أيامــه.. وليس اللــبيب من جمع للــدنيا.. أو كسب فيها الجـاه والمناصب العليـا.. ولكنه ذاك الــذي أمضى حياته مهمومًا يَعْصــرُ هَمٌّ الاحتضـــار قلبـــه.. ويحسب له في أفعاله وأقواله ألف حســاب.. فــذاك هو اللــبيب العارف الفطين.

أخي.. تـذكر هـذه اللحظـة الحاسـمة.. فإنها لحظة فضـيحة وكرامـة.. يفضـح فيهـا العصـاة إذا انخـذلوا عن الشـهادة وتظهـر

عليهم أمارات السوء, ويكرم فيهـا المـؤمن بالثبات إذ تظهـر عليـه أمـرات الخـير، قـال تعــالى **وَلَــوْ تَــرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَـرَاتِ الْمَـوْتِ وَالْمَلَائِكَـةُ بَاسِـطُو أَيْـــدِيهِمْ أَخْرِجُــوا أَنْفُسَــكُمُ الْيَــوْمَ تُجْــزَوْنَ عَـــذَابَ الْهُــونِ بِمَــا كُنْتُمْ تَقُولُـونَ عَلَى اللَّهِ غَيْـرَ الْحَـقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آَيَاتِهِ تَسْـتَكْبِرُونَ** [الأنعـام الآيـة: 93].

يا لاهيًا بالمنايا قد غره الأمل
وأنت عما قليل سوف ترتحل
تبغى اللحوق بلا زاد تقدمه
إن المخفين لما شمروا
لا تركنن إلى الدنيا وزخرفها
فأنت من عاجل الدنيا

قـــال الحسن تأمل أن تعمر عمر نـــوح، وأمر الله يطرق كل ليلة.

واحتضر ســـــــلمان فبكى، قيل له ما يبكيك وأنت صاحب رسول الله ؟ قـال: ما أبكي أسفًا على الدنيا، ولا رغبة فيها، ولكن رســـول الله - عهد إلينا عهـــدًا، فتركنا ما عهد إلينا أن تكون بلغة أحدنا كزاد الـراكب، ثم نظر فيما ترك، فإذا قيمة ما ترك بضـعة

وعشرون درهمًا أو بضعة وثلاثون درهمًا.

أخي.. إن لحظة الاحتضـــــــــــار لحظة موعـــــــــودة.. فيها ينتهي دورك في رحلة الحيـــاة.. وفيها ينقطع رزقـــك.. وتطـــوى صحيفة أعمالك.. لتباشر الحساب ﴿**إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْـــتَأْخِرُونَ سَـــاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾ [يونس: 49].

ولو تمعنت مليًا في موقفك في تلك اللحظـــة.. لعلمت أنها لحظة الفصل والجد وأن أكثر النـاس عنها غـافلون.. فهي لحظة مسـير طويـل.. بدايته شـكرة ونهايته خلـود في نعيم أو جحيم. وبحسب حـــــــال تلك اللحظة.. تكون طبيعة النهاية قـال ﷺ: **«من مـــات على شـــيء بعثه الله عليه»** صحيح الجامع برقم (6419).

قـال إبـراهيم الـتيعي: شـيئان قطعـا عـني لـذة الـدنيا.. ذكـر المـوت، وذكـر الموقف بين يدي الله.

يا بؤس للإنسان في الد
نيا وإن نال الأمل
يعيش مكتوم العلل
فيها ومكتوم الأجل
فيما يرى في صحة

مغتبطًا قيل اعتلل
وبينما يوجد فيها
ثاويًا قيل انتقل
فأوفر الحظ لمن
يتبعه حسن العمل

قـــال عمر بن عبد العزيز لأبي حـــازم: عظـني, فقـال: اضـطجع ثم اجعل المـوت عند رأسك ثم انظر ما تحب أن يكــون فيك تلك الســاعة فتجد فيه الآن، وما تكــره أن يكون فيك، فدعه الآن.

أخي.. إن لحظة الاحتضــار قد فضــحت الدنيا.. وأظهرت هوانهـا.. فمـاذا عسـاها أن تنفع صاحبها في لحظة موته.. وماذا عساها أن تنفعه بعد موتـه.. فيا حسـرة من فـرط في دينه وباعه بلـــذة فانيـــة.. أو شـــهوة منقضية ليجدها حسرات وكربات في ساعة المنية..

أخي هي آية واحدة لو عقلها المرء وتدبر معناها لأدرك سر الحيــــاة.. وما يجب عليه فيها من عمل.. قال تعالى:

﴿كُـــلُّ نَفْسٍ ذَائِقَــةُ الْمَــوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُـورَكُمْ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ فَمَنْ زُحْـزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِـلَ الْجَنَّةَ فَقَـدْ

فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ [آل عمران: 185].

تذكر دخولك القبر

أخي.. ما من ابن آدم يحمل على الأعناق إلا ويعرف مستقره في قبره.. وماله فيه من نعيم أو جحيم.. فعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله : **«إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت: قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها أين تذهبون بها؟ يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان. ولو سمعها لصعق»** رواه البخاري.

فتذكر أخي.. ممشاك إلى القبر.. يوم تتمايل بك الرقاب.. ويبكيك الأهل والأحباب.. وأنت على آلة حدباء ملفوف محمول لا حول لك ولا قوة.. تذكر يوم تحمل.. ما عساك تقول في محملك..

تذكر يوم تدخل قبرك.. ما قدمت من عملك! قال رسول الله : **«يتبع الميت ثلاثة: أهله وماله، وعمله، فيرجع اثنان، ويبقى واحد: يرجع أهله**

ومالـه ويبقى عملـه» رواه البخـاري ومسلم.

من كان يوحشه تبديل منزله
وأن يبدل منها منزلاً حسنا
ماذا يقول إذا ضمت جوانبها
عليه واجتمعت من ها هنا
ماذا يقول إذا أمسى بحفرته
فردًا وقد فارق الأهلين
وهنالك يعلم قدر الوحشتين
يلقاه من بات باللذات مرتهنا

قـال الحسن البصـري: عجبت لأقـوام أمـروا بـالزاد، ونـودي فيهم بالرحيل وهم يلعبون.

وكان يوسف بن أسـباط إذا شـيع جنـازة يكـاد يمـوت فـيرجعون به في النعش إلى داره.

هكـذا كـان حـال السـلف الـذين اسـتوى عندهم الغيب والشـهادة.. فهم موقنـون بما أخبروا به من أحوال القبر. وعذابه ونعيمه.. وهذا سفيان الثوري كان إذا ذكر المـوت، لا ينتفع به أحد أيامًا عديـــــدة. ولا يأكل ولا يشرب. وكان إذا سئل عن شـيء يقـول: لا

أدري.

بل كان الربيع بن خثيم قد حفر في داره قـبرًا فكـان إذا وجد في قلبه قسـاوة دخل فيها فاضطجع ومكث ما شاء الله ثم يقول: «رب ارجعـــون لعلي أعمل صـــالحًا فيما تـــركت» ثم يـــرد على نفســـه: يا ربيع قد رجعت فاعمل.

قيل لزيد بن يزيـــد: ما لنا نـــراك باكيًـــا، وجلاً، خائفًـا. فقـال: إن الله توعـدني إن أنا عصـيته أن يسـجنني في النـار. والله لو لم يتوعدني إن أنا عصـيته أن يسـجنني إلا في الحمام لبكيت حتى لا تجف لي عبرة.

وكان عثمـان بن عفـان إذا وقـف على قبر بكى حتى يبـل لحيتـه فسـئل عن ذلـك، وقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي إذا وقفت على قبر؟! فقال سمعت رسـول الله يقول: إن القـبر أول منـازل الآخـرة؛ فإن نجا منه صـاحبه فمـا بعـده أيسـر منـه، وإن لم ينج فما بعده أشد».. فاستعد أخي للسؤال.. وتـأهب لتلـك الأهـوال.. فـإن القبر أول منازل الآخـرة.. وفيـه تظهـر حقائق الأعمال..

يا غاديًا في غفلة ورائحًا

إلى متى تستحسن القبائحا؟!
وكم إلى كم لا تخاف موقفا
يستنطق الله به الجوارحا؟!
واعجبا منك وأنت مبصر
كيف تجنبت الطريق
وكيف ترضى أن تكون
يوم يفوز من يكون رابحا

فانظر أخي إلى الدنيا. فإنهـا برمتهـا إلى زوال.. وتأمل وحشـتك في قـبرك، وابتلاءك فيـــه بالســـؤال.. وتـــذكر أن مستقبلك الحقيقي هو ما بعد موتك.

إن للموت سكرة فارتقبها
لا يداويك إذا أتتك طبيب

تأهب للحساب

أخي.. إن كنت تحب أن ينور في قبرك.. وأن تجد فيه ما يسـرك.. وأن تدخله عزيـزًا كريمًا فالحًا مســـــــرورًا.. فحاسب نفسك اليـــوم على أعمالـــك، وقف على حقيقة أفعالـك.. فإنك لو دققت في حقيقة تقـواك ومــدى طاعتك لله جل وعلا.. فإنك بلا شك ستعرف نفسك.. وستقدر من أي الفـريقين أنت.. وهذا القرآن يدعوك إلى أن تنظر في

غدك بعين الحساب والمتابعة قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [الحشر: 18].

وحقيقة نظرك في نفسك.. أن تحاسبها على كل صغيرة وكبيرة قبل أن تسأل:

وكيف يلذ بالعيش من هو
بأن إله الخلق لابد سائله
فيأخذ منه ظلمه لعباده
ويجزيه بالخير الذي هو فاعله

قال ميمون بن مهران: من كان يريد أن يعلم منزلته عند الله عز وجل فلينظر في عمله فإنه قادم عمله كائنا من كان.

وسأل الفضيل بن عياض رجلاً فقال له: كم أتت عليك؟

قال: ستون سنة.

قال: فأنت من ستين سنة تسير إلى ربك، يوشك أن تبلغ.

فقال الرجل: ﴿**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾ [البقرة: 156].

فقال الفضيل: أتعرف تفسيره؟ تقول:

إن لله وإنا إليه راجعون، فمن عرف أنه لله عبــد، إليه راجع فليعلم أنه موقــوف، ومن علم أنه موقـوف فليعلم أنه مسـؤول، ومن علم أنه مسؤول فليعد للسؤال جوابا».

أخي الكريم.. إن الله جل وعلا قد أمـرك باتقاء يوم الرجوع إليه لما فيه من الأهــوال وسيئ الأحوال فقال تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيـهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُـوَفَّى كُـلُّ نَفْسٍ مَـا كَسَــبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُـونَ**﴾ [البقـرة: 281] فكيـف تـرى يتقي المسـلم يوم دخوله في قبره، ومباشـرته الحسـاب؟ أليس بتقــوى اللــه جــل وعلا يكــون اتقــاء العذاب؟ أليس بطاعة أوامر الله.. واجتناب نواهيــه والمســارعة إلى الخــير؟ أليس بترك المعاصي.. والمسارعة إلى التوبة والرجوع إلى الله.. وترك الغفلة واتبـاع الهــوى؟ أليس بملازمـــة التفكـــر في المعـــاد.. والمداومـــة على محاســـبة النفس.. والخوف من الله.. والاعتصـام به من الفتن؟

ألا أيها الناسي ليوم رحيله
أراك عن الموت المفرق لاهيًا
ولا ترعوي بالظاعنين إلى

وقد تركوا الدنيا جميعًا كما
ولم يخرجوا إلا بقطن وخرقة
وما عمروا من منزل ظل
وهم في بطون الأرض
صديق وخل كان قبل موافيا
وأنت غدًا أو بعده في
وحيدًا فريدًا في المقابر ثاويا
فكن مستعدًا للحمام فإنه
قريب ودع عنك المنى

أخي.. اســتدرك حالك ما دام قد بقي لك في العمر متســـــع.. وأنب إلى الله بالتوبة والعمل الصــــالح قبل أن يحــــال بينك وبين أسباب النجاة.

قــال أبو ســليمان الــداراني: لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره إلا على تفــويت ما مضى منه في غير طاعة، لكان خليقا أن يحزنه ذلك إلى الممات، فكيف من يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله.

وقال ابن مسعود: ما نــدمت على شــيء نــدمي على يــوم غــربت شمسه نقص فيه أجلي ولم يــزد فيه عملي.. واحــذر أخي أن تباغتك المنية على حين غفلة منـــــــك..

فساعتها لا ينفعك -والله- شيء ولا يمنعها منك أحد.. إلا ما قدمته من عمل صالح.. فعساه أن يكون منجاك في ممشاك إلى القبر.

وهذا نذير من الله لعباده.. يقيم الحجة ويبين المحجة **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** [المنافقون: 9-11].

تنبه قبل الموت إن كنت
فعما قريب للمقابر تحمل
وتمسي رهينًا في القبور
لدى جدث تحت الثرى تتجندل
فريدًا وحيدًا في التراب وإنما
قرين الفتى في القبر ما كان

خطب علي فقال: ألا وإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع، وإن الآخرة قد أقبلت

وآذنت بـــاطلاع، ألا وإن المضـــمار اليـــوم، والسباق غدًا ألا وإن السبقة الجنة، والغايــة الموت، ألا وإنكم في أيام مهل، ومن ورائـه أجل يرثه عجل، فمن عمـل في أيـام مهلـه قبل حضـور أجلـه، نفعـه عملـه، ولم يضـره أملـه، ومن لم يعمـل في أيـام مهلـه قبـل حضور أجله ضره أمله وساءه عمله».

إنا لنفرح بالأيام نقطعها

وكل يوم مضى يدني من

فاعمل لنفسك قبل الموت

فإنما الربح والخسران في

جعلـني الله وإيـاك ممن ينـور في قـبره ويتجـاوز الله عن سـوء عمله ويحشـره مع النبيين والصديقين والشــهداء وحسن أولئك رفيقـا، وصـلى الله وسـلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.